اللّغة العربية وظاهرة التّهجين اللّغوي: المخاطر والحلول

The Arabic language and the phenomenon of linguistic hybridization : risks and solution

عبديش الزّهرة
جامعة: أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت/ الجزائر
abdichezohra1@gmail.com

تاريخ الإرسال:	تاريخ	تاريخ النشر:
2022/03/18م	القبول:2022/06/13م	2022/06/30

الـملخص:

تعيش اللّغة العربية في المدة الأخيرة واقعا سيئا، بسبب الممارسات اللّغوية المتداخلة بين ما هو فصيح ودارج وخليط من اللّغات الأجنبية، فاللّغة العربية تعاني فوضى التّهجين اللّغوي الذي تسلّل إلى المجتمعات العربية ممّا أثّر على عملية التّعليم وتطوير هذه اللّغة، فأصبحت مشتّتة بين عدد من اللغات ، والسبب هو السّياسة اللّغوية المنتهجة في العالم العربي التي تؤدي إلى تخفيض مستوى اللّغة العربية أمام اللّغات الأخرى، والسّماح باستعمال العامي والمهجّن داخل المؤسّسات.

الكلمات المفتاحية: التّهجين اللّغوي، الممارسة اللّغوية، السّياسة اللّغوية.

Abstract :

In the recent period, the Arabic language has been living in a bad situation, due to the overlapping linguistic practices between what is formal and colloquial and a mixture of foreign languages. The reason is the linguistic policy adopted in the Arab world, which leads

to lowering the level of the Arabic language in front of other languages, and allowing the use of colloquial and hybrid within institutions.

Keywords: linguistic hybridization, language practice, language policy.

مقدمة:

تعدّ اللّغة العربية من أسمى اللّغات في التّاريخ البشري وذلك لما حباها الله من مميّزات وخصائص على غيرها من اللّغات الأخرى باعتبارها لغة القرآن الكريم، فكُتب لها الحفظ والاستمرارية، وتربطها بالمحيط الاجتماعي روابط وثيقة مثلها مثل الثّقافة والهوية، وهي لم ترتبط بالمجتمع الحاضر فقط، بل بتاريخ ذلك المجتمع وبالعلوم والمعارف والمواقف والمشاعر، وهي العنصر الأساس في هوية الإنسان العربي، ثمّ إنّ مهمّة الحفاظ عليها موكلة إلى مستعمليها لأنّها لغتهم الأم، ممّا يساعدهم على التّواصل والاستيعاب والفكر والإبداع، فهي خزّان لمختلف العلوم والمعارف.

لكنّها تتعرّض لموجة خطيرة تهدّد كيانها من داخل الوطن العربي ومن خارجه، بهدف القضاء على الدين مصدر قوّتها، والقضاء على الثّقافة العربية، ولهذا هي تعيش واقعا تعيسا بين مفتخر ومستهين، ومحاولة التّخلص منها في ميدان التّعليم خاصة بحجّة عجزها عن مواكبة الحضارة والعلوم.

والحرب على اللّغة لا تستهدف اللّغة وحدها بل تفكّك الكيان الفكري والثّقافي والحضاري للأمة العربية، ومن بين هذه المخاطر المحدقة بها خطر التّهجين اللّغوي الذي يكاد يعصف بلغتنا العربية، ومنه يمكن طرح الإشكالات التّالية: ما هو التّهجين اللّغوي كظاهرة لغوية؟ ما المخاطر التي تواجهها العربية كي تبقى آمنة؟ وما هي الحلول المناسبة للمحافظة على لغة أمّتنا وديننا؟ وكيف نتخلّص من ظاهرة التّهجين اللّغوي علما أنّه بات يطغى على اللّغة الفصحى والتي تعدّ رمزا من رموز هويتنا العربية؟

أولا. تعريف التّهجين:

أ. لغة: من الفعل هجّن، يعني ما يُعيب الكلام.

قال المبرّد: قيل لولد العربي من غير العربية هجين، لأنّ الغالب على ألوان العرب الأدمة، وقالت العرب لأولادها من العجميات التي يغلب على ألوانهنّ البياض: هجن، وهجن لغلبة البياض على ألوانهم وأشباههم أمهاتهم[1]، فمادة هجن تعني الاختلاط بين الأنساب وتداخل الصّفات الوراثية.

والتّهجين مصطلح علمي يُستخدم في الدراسة الأنتروبولوجية والدراسات الثّقافية والبيولوجيا والفنون، أمّا "باختين" فقد تبنّى مصطلح التّهجين في النّقد الأدبي في شعرية دوستوفيسكي، وكتابه النّظرية الجمالية ونظرية الرواية[2].

ب. اصطلاحا: هو أساس يُعبّر عن المبدأ الحواري في الرواية، وهذا يعكس الامتزاج الثّقافي والفكري بين الألوان الأدبية في الرواية الواحدة.

ومنه نستنتج أنّ النّص الأدبي:« أصبح نصا حواريا مهجّنا تتعدّد فيه اللّغات والأساليب والأصوات والرؤى والإيديولوجية، والملفوظات اللّسانية التي تعكس تنوّعا واقعيا واجتماعيا وطبقيا »[3]. بمعنى أنّ النّص الروائي أصبح متعدّد اللّغة، ومختلف التوجهات رغم أنّه نص واحد.

ويقول باختين أيضا أنّ التّهجين:« هو مزج لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد، وهو أيضا التقاء نظامين لغويين مفصولين بحقبة زمنية وبفارق اجتماعي أو بهما معا داخل ساحة ذلك الملفوظ ولا بدّ أن يكون قصديا »[4]، وهذا يعني أنّ التّهجين هو تداخل أنظمة اللّغات فيما بينها.

أو هو:« عملية ابتداع لغة تقريبية أي هي خليط من نوعيات مختلفة مخترعة لم تحافظ على أبنية المفردات المقترضة من اللّغات المولّدة منها لاسيما المستوى الصوتي، فالتّهجين إذن عملية اصطناع تنوّع- رطانة لغوية نتيجة المزج بين نظام نوعين لغويين أو أكثر، وقد اصطنعت هذه التّنوّعات اللّغوية لأغراض الاتصال العاجل بين الجماعات اللّغوية التي لا تملك فرص النّجاح إذا ما استخدمت لغاتها الأصلية لعدم وجود قناة لغوية مشتركة تؤدّي إلى تخاطب مفهوم، ثمّ توسّعت هذه الرطانات وصارت لغات متداولة »[5]، فانتشار هذه الأبنية المتمازجة يؤثّر على اللّغة الأصلية المتداولة في بلد ما وخير دليل على ذلك ما يحصل اليوم مع اللّغة العربية.

ويُشير زهير الضّباع إلى التّهجين بقوله:« وتمثّل هذه الظّاهرة في تهجين أفراد الجماعة اللّغوية للغتهم المحكية أو المكتوبة بكلمات ومفردات

تنتمي إلى لغة أجنبية أخرى، وتتمّ هذه الظّاهرة بشكل واع ومعتمد عن طريق المحاكاة، أو بشكل غير واع معتمد، ويعتقد من يمارسها بأنّها نوع من الرقي الحضاري، ويصبح في نظرهم من لا يمارسها غارقا في غياهب التّخلّف »[6]، بمعنى أنّ مفردات اللّغة الدخيلة تستعملها الجماعة اللّغوية مع مفردات لغاتها الأم.

ثانيا- أسباب التّهجين اللّغوي:

- جهل الكثير من المتخاطبين بلغتهم أثناء الأداء اللّغوي ممّا يستدعي الاستعانة بلغة أخرى.
- النّقص المعنوي لدى المستخدمين جعلهم يستعملون مفردات وعبارات أجنبية ظنّا منهم أنّها عاكسة للمستوى الثّقافي.
- الحاجة إلى المفردات التي لا توجد في اللّغة الأم عند الأفراد المستعملين للغة.
- الجهل التام بالخط الذي تسببه اللّغة الدخيلة على اللّغة الأم لأنّ هذا يُؤدّي إلى التّبعية اللّغوية.
- ضعف الانتماء والحس اللّغوي، وعدم شعور الجماعة اللّغوية بعظمة لغتها.
- التّهاون مع مستعملي اللّغات الأجنبية مع اللّغة العربية دليل على انحطاط الأمة وتفكّكها.
- التّدفق الحضاري والثّقافي وهيمنة بعض اللّغات خاصة على المغرب العربي[7].
- وضع اللّغة العربية حاليا، وعجزها عن اللّحاق بالانجازات العلمية.
- السّياسة اللّغوية تشجّع بقاء العربية تابعة للغات الأخرى ومليئة بالألفاظ الهجينة.

ثالثا- مميّزات اللّغة الهجينة: تمتلك اللّغة الهجينة جملة من الخصائص منها:

- تفتقد اللّغة الهجينة لنظام قواعدي منظم ومحدّد.
- لا تعلّم الهجينة تعليما نظاميا منظّما ومقنّنا.
- نظام هذه اللّغة لا يعرف الاستقرار خصوصا في البدايات.
- محدوديّة التّراكيب والكلمات فيها.
- تمتلك نظاما صوتيا يتّسم بالبساطة أكثر من نظام اللّغة الأم.
- تعلّمها سهل إذا ما قورن باللّغات الأخرى.
- تخلو من النّظام الصوتي.
- نقص فادح في الضّمائر المستعملة.
- غياب الرّوابط المطلوبة، حيث تجدها تحتوي جملا مفكّكة لا انسجام فيها.

- بسيطة جدا في عموم تعلّمها واستعمالها[8].

رابعا- مظاهر التّهجين اللّغوي:

تجلّت ظاهرة التّهجين في مختلف المجالات وفي شتّى المواقف، وهي ليست بالمسألة الحديثة بل قديمة بقدم الظّروف التي أدّت إليها، لكنّها اليوم انتشرت على نطاق واسع، فقد دبّ التّهجين في لغة الحوار سواء في البيت أو الشّارع، وانتقل إلى مواقع التّواصل الاجتماعي، إذ أنّ الأغلبية السّاحقة تدمج بين لهجات مختلفة ولغات عديدة في التّركيب الواحد سواء تعلّق الأمر بأفراد البلد الواحد أو بأفراد بلدان مختلفة، ممّا أدّى إلى تبادل الألفاظ بينهم وأكثرها من اللّهجات والدّوارج أو الفرنسية أو الانجليزية وغيرها، ويقول علي صالحي في هذا الموضوع:« ورغم أنّ اللّغة العربية هي اللّغة الرّسمية في البلاد فكانت اللّهجات واللّغة المستعملة ذات تأثير سلبي على المجتمع، ولا يقتصر هذا التّأثير على المؤسّسة الكبرى وهي الشارع أو التّواصل الاجتماعي بشكل عام، إنّما يتعدّى ذلك إلى مؤسّسات الدولة التي لا يمكن فصلها عن المحيط، فهي جزء منه، والمتحدّث في الشّارع هو المتحدّث في الأسرة ، وهو المتحدّث في المدرسة، وهو الموظّف للّغة في أيّ مؤسّسة من مؤسّسات الدولة، وما يُميّز لغة التّخاطب في هذه المؤسّسات أنّها لغة عامية، وهي هجين من اللّغات المتعدّدة من عامية وعربية وفرنسية وتركية، وغيرها من اللّهجات، فكانت ميزة هذه اللّغة أنّها لغات متعدّدة في خطاب واحد لا يختلف فيه الأميّ عن المتعلّم، والصّغير عن الكبير، والمرأة عن الرجل، فكلّهم على اختلاف مستوياتهم الثّقافية والتّعليمية يتحدّثون لغة عامية هجينة، بعيدة عن الواقع اللّغوي العربي الأصيل »[9]، أي أنّ العامية أصبحت طاغية على مختلف المجالات والأنشطة والحوارات، والأدب والفن والسياسة.

خامسا- المخاطر التي تواجه العربية بسبب التّهجين اللّغوي:

- تراجع مستوى الوعي السّياسي في البيئة العربية بأهمية اللّغة العربية كهوية قومية.
- محاولة استبدال اللّغة الأم في التّدريس بلغات أجنبية خاصة الانجليزية.
- اعتبار العربية لغة معقّدة وصعبة وتحتمل الكثير من الدّلالات والتّأويلات التي تربك مستخدمها ومتعلّمها.
- الإغراءات الغربية عبر وسائل الاتصال الحديثة هي خطّة محكمة لتدمير العربية، وابتداع كتابة المعاني العربية بحروف لاتينية.
- المبالغة في تهميشها بالمدارس والجامعات العربية.

- تركيز أولياء الأمور على تعليم أولادهم اللّغات الأجنبية على حساب اللّغة العربية.
- تعتبر مشكلة الازدواجية في اللّغة العربية من أهم المشكلات اللّغوية التي تواجه الوطن العربي خاصة من النّاحية النّفسية والاجتماعية والتربوية.
- العولمة: وهي كما يعرّفها حسين نصار:« هي إزالة الفواصل بين أقطار العالم، لتصير الكرة الأرضية كلّها قرية عالمية، أي أنّ العولمة تسعى إلى صهر العالم في بوتقة واحدة، هذا ظاهرها أمّا باطنها هو: أمركة العالم اقتصادا ولغة وثقافة ونمط حياة »[10].
- القصور في وظيفة المحتوى، والبعد بين اللّغة الفصيحة والحياة.
- ضبابية الأهداف في أذهان القائمين على تعليم اللّغة العربية.
- عدم مساعدة معلّمي المواد الأخرى لمعلّمي اللّغة العربية في تعليم العربية وتعلّمها.
- ضعف إعداد معلّمي اللّغة العربية.
- الإخفاق في تكوين المهارات اللّغوية.
- تقديم المصطلحات النّحوية في مراحل مبكّرة من التّعليم ممّا يؤدّي إلى النّفور منها.

سادسا- الحلول المقترحة للحفاظ على اللّغة العربية:

- منع وزارات التربية والتعليم تعلّم لغة ثانية في مدارسها إلا بعد التّمكن من اللّغة الأم.
- تشديد الرّقابة على المدارس الخاصة حيث يكون للغة العربية وضعها المحترم، ويجب أن يكون للوزارة الإشراف المباشر مع فرض كادر تعليمي لغوي يكون قادر على فرض واقع لغوي عربي في تلك المدارس.
- تعريب التّعليم الجامعي في كافة التّخصّصات، والاستفادة من التّجارب النّاجحة ووضع خطة مشتركة في العالم العربي تهدف إلى الانتقال من التّدريس الجامعي باللّغات الأجنبية إلى اللّغة العربية.
- إحياء حركات التّعريب وترجمة جميع العلوم والمعارف والمؤلّفات الجديدة المفيدة لتكون عونا وبديلا عن المراجع الأجنبية، ورصد الإمكانات المادية والبشرية لذلك.
- تفعيل دور مكتب تنسيق التّعريب، ومنع إصدار أيّ مؤلف إذا لم يخضع لمراجعة متخصّصين تابعين للمكتب لتجنّب فوضى المصطلحات، وسدّ باب الذّريعة للهروب من الفصيحة والارتماء في أحضان اللّغات الأجنبية.

- توفّر الإرادة السّياسية الفاعلة في القرارات من أجل تحويل التّنميات والطّموحات إلى وقائع ملموسة، وأن يصاحب ذلك حملات توعية ومؤازرة شعبية تدعم تلك السّياسات.

- اهتمام المدارس والجامعات بالواقع اللّغوي، والتّركيز على ممارسة اللّغة في قاعات الدرس، وابتعاد المعلّمين والمحاضرين عن استخدام العامية[11].

- اعتماد الجامعات سياقات متعدّدة في اللّغة العربية ليكون مطلبا إجباريا لكلّ الدارسين، ويراعى فيها أن تكون خادمة للمهارات الأساسية والحياتية للغة الفصيحة، ودعمها بأنشطة علمية، مثل التّقييم على الحديث الشفوي، أو الكتابة الإبداعية بلغة رفيعة.
- تخصيص مسابقات للعاملين في حقول التّدريس الجامعي والمدرسي لتطوير آليات اعتماد اللّغة الفصيحة كلغة خطاب يومي.
- مكافحة القنوات الإعلامية التي تعتمد على العامية في تأدية وظيفتها.
- العمل على توفير مراجع باللّغة العربية وكذلك الدّوريات العلمية، وإصدار المجلات الخاصة لنشر مختصرات عربية لكلّ البحوث الأجنبية.
- تعزيز الوعي اللّغوي والانتماء إلى الأمة ولغة الأمة الفصيحة[12].
- وضع تخطيط لغوي متدرّج، ووضع سياسة لغوية وطنية وقومية بما يولي الصّدارة للغة العربية.
- الوقوف ضدّ دعاة استبدال اللّسان العربي باللّسان العامي.

- العمل على تطوير المناهج والبرامج، وخلق مناهج قادرة على مواكبة العصر.
- تطوير لغة التّعليم بالتزام معجم عربي أصيل، وبإنجاز ترجمة شاملة سريعة للحاق بالركب العلمي الحضاري.
- الدفاع عن العربية بطريقة علمية هي التّرجمة النّشطة والواسعة الشّاملة ، وانتهاج سياسة تربوية متطوّرة تحمي العربية وتسمو بها.

سابعا- خاتمة:

نظرا لما تتعرّض له اللّغة العربية من نكبات وأزمات متتالية ما جعلها في تراجع وتخاذل مستمر، ومن أجل الحدّ من ظاهرة التّهجين التي تكاد تعصف بها وجب علينا نحن أبناؤها أن نقوم بمالي:

- خدمتها باعتبارها اللّغة الأولى في البلاد، ومحاولة تنميتها وإثرائها وتطبيق استعمالها على نطاق واسع.
- تشجيع التّأليف والإبداع بها، ومحاربة كل من يحاول استخدام العامية أو الثّنائية في مؤلّفاته.
- إحياء التّراث اللّغوي العربي القديم بفرض مصطلحاته على الأوساط المستعملة للغة.
- إيجاد حلول للمصطلحات العلمية الواردة على العربية من خلال ترجمتها أو تعريبها، وتفادي استخدامها كما وردت.
- التّكثيف من النّدوات والمؤتمرات التي تُندّد بخطورة هذه الظّاهرة، والدعوة إلى النّهوض بالعربية.
- تكاتف الجهود وذلك بوضع قوانين صارمة تُجبر على تعميم استخدام الفصحى في مختلف المجالات والمؤسّسات التربوية والإدارية، وبهذه الطّريقة تنتشر في المحيط الاجتماعي ككل.
- يجب على كلّ عربي الاتعاظ بأنّ كلّ اللّغات التي عرفت قفزة نوعية وراءها علماء ومخطّطون ورجال سياسة يصنعون القرار، ووراءها دولة وقانون ومسئولون يسهرون على تطبيق القانون، أضف إلى ذلك السّند المجتمعي الذي يُبدع ويُنتج الأفكار ويهتم للصّالح العام، حيث تقوم الدولة على تطبيق ما ينتجه العلماء ويخطّطه السّياسيّون، لأنّ اللّغة القومية لا تبلغ رقيّها إلا بوقوف الجميع وقفة واحدة من أجل العمل ودون توان أو انتظار وذلك لصدّ الوافد الذي يُشوّش على لغتنا ويفقدها رونقها وروحها.

خامسا. قائمة الهوامش:

[1] - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2003، ص: 31.[1]
[2]- ينظر: باختين، الخطاب الروائي، تر. محمد برادة، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1987، ط. 1، ص: 123.
[3] - جميل حمداوي، مفهوم التّهجين وآلياته في الرواية، دار النّابغة، ط. 1، ص: 38.
[4]- زاوي أحمد، بنية اللّغة الحوارية في روايات محمد مفلاح، رسالة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015، ص: 40.

[5]- نجوى فيران، لغة التّخاطب العلمي الجامعي، دراسة سوسيو لغوية، رسالة دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، ص: 117.
- محمد محمد داود، اللّغة كيف تحيا؟ ومتى تموت؟، دار النّهضة، مصر، 2016، ص: 129.[6]
[7]- نظر: فتيحة حداد، واقع التّهجين اللّغوي قي المدرسة الجزائرية، أبعاده وأسبابه، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2009، ص: 353.
[8]- ينظر: إبراهيم عبد العزيز ، اللّغات الهجينة المولّدة، دراسة لغوية اجتماعية، مجلة الدراسات اللّغوية، 2013، مج. 15، ع. 1، ص: 99.
[9]- علي صالحي، اللّغة العربية في المحيط الجزائري، منشورات مخبر الممارسات اللّغوية في الجزائر، 2014.
[10]- عدلي الهواري، مجلة عود النّد، ع. 4، 2017.
[11]- ينظر: عبد العزيز الدوغري، العربية والعولمة اللّغوية بين الأحادية والتّعدّدية، ندوة عن التّعدّد اللّساني واللّغة الجامعة، 12،11،10 أفريل، 2012.
[12] - ينظر: محمد أحمد السّيّد، اللّغة العربية وتحدّيات العصر، مطابع الهيئة العامة، سوريا، 2008، ص: 54.